وصف الاسطول

كلما زهت طبيعة قطر وحفّ بضروب النعيم الصناعي والطبيعي تفنن السن ابنائه في وصفه والميل الى رباعه ولذلك تجد للشاميين في وصف اقليمهم من الاماديح ما لا تجده للعراقيين وما تجده للاندلسيين لانراه لادباء المصريين · والاندلس هي من البلاد التي زهت بنضرتها وتاهت بفطرتها ولذلك ترى شعراءها وكتابها اشبه بالاوربيين في مناحيهم الادبية لهذا العهد ينطقون بوصف ما تقع عليه ابصارهم وما كانت تقع الا على اثر في الحضارة وشيء من العمران واذ قد اضطرتهم الحال ان يخوضوا غمرات البحار كالفينيقيين ايام عزهم والبريطانيين في ايامنا كان لهم من اساطيلهم ما وصفه شعراؤهم فيما يلي -

قال ابن هانئ يصف الاسطول :

معطفة الاعناق نحو متونها   كما نبهت ايدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء شوقاً لبرده   صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا اعملوا فيها المجاذيف سرعة   ترى عقرباً منها على الماء ماشيا

وقال ابو عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الاشبيلي الكاتب

ويا لجواريه المنشآت وحسنها   طوائر بين الماء والجو عوّما
اذا نشرت في الجو اجنحة لها   رأيت به روضاً ونوراً مكمّما
وان لم تهجه الريح جاء مصافقاً   فمدّ له كفّاً خضيباً ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤوسها   على وجل في الماء كي تروي الظما
كما اسرعت عداً انامل حاسب   بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدب في اجفان اكحل اوطف   فهل صنعت من عندم اوبكت دما؟

قال ابن الابار وقد اجاد ما اراد في هذا الوصف وان نظر الى قول ابي عبد الله ابن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هام صرف الردى بهام الاعادي   ان سمت نحوهم لها اجياد
وترامت بشرعها كعيون   أبداً مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاك   هدب باك لدمعه اسعاد
تتهادى فوقها من البيض نار   كل من ارسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل رد   الف خطها على الجو صاد

قال وما احسن قول شيخنا ابي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيد انشدنيه

وكأنما سكن الاراقم جوفها   من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت   من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان علي بن محمد الايادي التونسي في قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت   شادي الرياح لها ولما تتعب
تنساع من كثب كما نفر القطا   طوراً وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه   ليل يقرب عقرباً من عقرب
وعلى جوانبها اسود خلافة   تختال في عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم   ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها   طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره   في كل لج زاخر متلولب
يسمو بآخر ذي الهواء منصب   عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة   لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد   للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم   ركبوا جوانبها باعنف مركب
سجروا جواحم بينهم فتقاذفوا   منها بالسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى   من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه   صبح يكر على ظلام غيهب

ومن اولها: اعجب باسطول الامام محمد   وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست بها الامواج احسن منظر   يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت   اشراف صدر الاجدل المتنصب
ومنها جوفاء تحمل موكباً في جوفها   يوم الرهان وتستقل بموكب

وقال ابو عمر القسطلي

وحال الموج بين بني سبيل   يطيح بهم الى الصوب ابن ملة
اغر له جناح من صباح   يرفرف فوق جنح من ظلام

واحسن ابن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاماً بطير من الصباح بها جناح
اذا الماء اطمأن ورق خصراً علاه من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه واتلع جيده الاجل المتاح

قال المقري ولا يخفى حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة. وقال ابن الابار وقد تلت الى ذلك

ياحبذا من بنات الماء سابحة تطفو لما شب اهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرباناً باجنحة الحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جرب فما لراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غراباً وللفتخاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوماً شهدت زفافها بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت لك كيف شئت من الحمام الاورق
حمل الغراب بجر شملة ثوبه وكساه من غرة لم يعتق
من كل لابسة الشباب ملاءة حسب اقتدار الصانع الخالق
شهدت لها الاعيان ان شواتها اجفانها فتعجبت في المنطق
من كل مشرعة قوادمها الجنح وفي معاطفها وهدق سودق
زأرت بها الاسد وهي صوامت وزحفن زحف مواكب في مأزق
وتطاردت تحكي اراقم ربوة نزلت الكرع من غدير متأق

وقال القسطلي في اسطول انشأه المنصور بن ابي عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحراً من القنا يروع بها امواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كأنها وقد حملت اسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت خيولاً مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح وفوقها اظلت باجياد النعام فيول
ظباء فلاة ما لهن مفاحص وورق حمام ما لهن هديل
سواكن في اوطانهن كأنما بها الموج حيث الراسيات تزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى غداة استقلت بالخليط حمول
اراقم تحوي ناقع السم ما لها بما حملت دون العداة مقيل